ترجماتُ الطحاويِّ والبابرتيِّ وابنِ أبي العز

الباحث/ حسن عبد الحميد عثمان

هذا البحث هو جزءٌ من رسالتي التي أتقدم بها للحصول على درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية، بعنوان:

شرح العقيدة الطحاوية .. شرحا البابرتي (ت٧٨٦ هـ) وابن أبي العز(ت٧٩٢هـ) أنموذجًا ... دراسة تأصيلية مقاربة

أحاول مجتهدًا في هذا البحث أن أقدم صورة قريبة للأعلام الثلاثة: الطحاوي؛ صاحب العقيدة، والبابرتي، وابن أبي العز؛ ممن تصدى الأخيران لشرح العقيدة الطحاوية؛ فأردت أن أجمع الثلاثة في بحث واحد يدرس حياتهما وشيوخهما وتلاميذهما؛ لأن قناعتي أن ثم صلة وثيقة بين معرفة سيرة العالِم وتراثه العلمي، وكذلك بيان موقف العلماء منهما، وتأثر العلماء بهما، مستخدما المنهج الاستقرائي التحليلي في جمع البيانات وتحليلها .

وانتهى البحث إلى أن الطحاوي نشأة في أسرة معروفة بالعلم والتقى والصلاح وكانت ذات نفوذ ومنعة وقوة في صعيد مصر وكان والده من أهل العلم والأدب والفضل، مما أثر على حياته العلمية، وتفوقه العقلي .

كما أن الإمام ابن أبي العز انتهج منهج السلف واتبع مذهبهم في جميع المباحث العقدية، وقد تمتع ابن أبي العز بنشأته في بيئة علمية بدأت من الأسرة ثم المدارس العلمية التي انتشرت من حوله والتي أنشأ بعضها أفراد من أسرته.

كما حاز البابرتي مكانة علمية عظيمة لسعة اطلاعه ورجاحة عقله وحسن فهمه فألف في صنوف العلم المختلفة في اللغة والحديث والفقه والعقيدة والأصول والتفسير ولقد نال منزلة علمية شهد له بها.

- **ترجمة الإمام الطحاوي (٢٣٨ هـ - ٣٢١ هـ ٨٥٢١م - ٩٣٣م):**

هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي.

فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في قرية طحا، في المنيا بصعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيًا، ومن أشهر كتبه: العقيدة الطحاوية.([1])

ذكر صاحب وفيات الأعيان أنه ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

وذكر غيره أنه ولد تسع وعشرين ومائتين.

وزاد غيره فقال: ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع.([2])

أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي بن الحجر بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.([3])

قال ابن الأثير حجر بن عمران بن عمرو بن عامر منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي. ([4])

ومن رهطه العلامة عبد الغني بن سعيد بن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز الأزدي صاحب المؤلفات الشهيرة، قال الحازمي حجر بن عمران بن عمرو وعد منهم الإمام أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحجري حافظ المصريين له المصنفات المعروفة وقال عامتهم بمصر.([5])

والطحاوي نسبة إلى بني طاحية من حجر الأزد([6]) وهو من بني طاحية بن سود بن حجر بن عمران.([7])

قال ابن القطان الفاسي في قول الهمداني: أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم، أزدي حجري ينسب إلى طاحية بن سود بن الحجر قال الهمداني وطاحية ينسب إليها هكذا الطحاوي([8])

---

١ يُنظر: خير الدين الزركلي: الأعلام ج١، ص٢٠٢.

٢ يُنظر: ابن خلكان؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان الناشر: دار صادر – بيروت : ١٩٧٢تحقيق: إحسان عباس (٧١١١).

٣ يُنظر: الزبيدي تاج العروس ج٦ ص٢٤٣.

٤ يُنظر: بن الأثير اللباب في تهذيب الأنساب ج١ ص٣٤١.

٥ يُنظر: الحازمي عجالة المبتدي وفضالة المنتهى في النسب ج١ ص١٤.

٦ يُنظر: الصحاري الأنساب ج١ص٢٣٥.

٧ يُنظر: ابن حزم جمهرة أنساب العرب ج١ ص٣٧١ والكلبي نسب معد واليمن ج١ص٢٣٥.

٨ يُنظر: الفاسي بيان الوهم والإيهام قي كتاب الأحكام ج٥ ص٦٤٠-٦٤١

وقال مرتضى الزبيدي وطاحية بن سواد بن الحجر بن عمران أبو بطن من الأزد والنسبة إليه الطاحي والطحاوي([1])

وذكر ابن يونس المصري إنما الطحاوي نسبة إلى قرية يقال لها طحا بمصر.([2])

نشأ الطحاوي في أسرة معروفة بالعلم والتقى والصلاح كما كانت ذات نفوذ ومنعة وقوة في صعيد مصر وكان والده من أهل العلم والأدب والفضل.

أما والدته فهي على الراجح أخت المزني صاحب الإمام الشافعي.([3])

وقد كانت معروفة بالعلم والفقه والصلاح وقد ذكرها السيوطي فيمن كان في مصر من الفقهاء الشافعية وأخذ عنها العلم عدد من الفقهاء.([4])

وتتلمذ الطحاوي على يد والدته الفقيهة العالمة الفاضلة ثم التحق بحلقة الإمام أبي زكريا يحي بن محمد بن عمروس والتي تلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة واستظهر القرآن الكريم ثم جلس في حلقة والده واستمع منه وأخذ عنه قسطًا من العلم والأدب ونهل الطحاوي من معين علم خاله المزني فاستمع إلى سنن الإمام الشافعي وإلى علم الحديث ورجاله([5]) وعصره.

عاش الطحاوي في العصر العباسي الثاني وعاصر عشرة من خلفاء بني العباس حيث ولد في عهد الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ هـ – ٢٤٧هـ) وتوفي في خلافة القاهر بالله (٣٢٠ هـ – ٣٣٢ هـ) كما عاصر عهد الدولة الطولانية كاملًا الذي بدأ بمؤسسها أحمد بن طولون (٢٥٤ هـ –٢٧٠ هـ) وانتهى بشيبان بن أحمد بن طولون سنة (٢٩٢ هـ) حيث عادت الإمارة إلى حظيرة الدولة العباسية في عهد الخليفة أبو أحمد علي المكتفي بالله وعلى يد القائد محمد بن سليمان الكاتب كما عاصر الطحاوي أصحاب الكتب الستة وأدرك معظم طبقة خاله المزني وأكثر الرواية عن النسائي.

شيوخه:

أخذ العلم على كثير من الشيوخ

واستفاد الإمام الطحاوي من مشايخه وقد زاد عددهم على ثلاثمائة شيخ منهم:

١–هارون بن سعيد الأيلي

٢–عبد الغني بن رفاعة

---

١ يُنظر: الزبيدي تاج العروس ج ٣٨ ص٤٨٥.

٢ يُنظر: ابن يونس التاريخ ج١ ص٢١..

٣ يُنظر: بهاء الدين الجندي السلوك في طبقات العلماء والملوك ج١ ص ٢٢٠ واليافعي مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٢ ص٢١١.

٤ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٣- بحر بن نصر الخولاني
٤- مقدام بن داود الرعيني
٥- ويونس بن عبد الأعلي
٦- ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم
٧- وعيسى بن مثرود
٨- الربيع بن سليمان المرادي
٩- وخاله إسماعيل المزني فقد روى عنه مسند الشافعي
١٠- ومحمد بن عقيل الفريابي
١١-ويزيد بن سنان البصري
١٢- ووالده محمد بن سلامة
١٣- وبكار بن قتيبة
١٤- وأحمد بن عبد الله البرقي
١٥- وهارون بن سعيد
١٦- ابراهيم بن منقذ سليمان بن شعيب الكيساني وغيرهم

تلامذته:

كثرت تلاميذ الإمام الطحاوي وروى عنه خلق منهم لغزارة علمه من دمشقيين ومصريين ورحالين ينهالون من علم الشيخ فمن تلاميذه :

- أبو بكر بن المقرئ
- محمد بن بكر بن مطروح
- أحمد بن عبد الوارث الزجاج
- يوسف بن القاسم الميانجي
- أبو القاسم الطبراني
- أحمد بن القاسم الخشاب
- عبد العزيز بن محمد الجوهري
- أبو الحسن محمد بن أحمد الأخميمي
- محمد بن الحسن بن عمر التنوخي
- محمد بن مظفر الحافظ وغيرهم

أخذ الفقه على يد القاضي أبا حازم عبد الحميد بن عبد العزيز بعد أن التقى به في الشام قبيل رحيله إليها في عام ثمان وستين ومائتين وبرز في الفقه حيث تفقه على يد القاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي.

عقيدته ومذهبه:

اتخذ الإمام الطحاوي منهجًا يعتبر قدوة حسنة لمن أراد طلب العلم فلم يمنعه التزامه المذهب الحنفي عن النظر في الأدلة والأقوال المخالفة لمذهبه وترجيح بعضها على بعض بحسب ما يراه راجحًا وهذا من أمثل المناهج في التفقه والنظر وطلب الحق لمن كان أهلًا لذلك فالحق أحق بالإتباع وقول الله وقول الرسول مقدمان لا يُردان بقول قائل مهما كان ولا يجوز الاجتهاد فيما قطع فيه النص ببيان

مكانته العلمية :

أثنى على الإمام الطحاوي كثير من العلماء في مختلف العلوم

قال أبو سعيد بن يونس : كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلًا لم يخلق مثله([1]).

وقال ابن الجوزي في المنتظم الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها.([2])

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة.([3])

وقال ابن كثير الفقيه الحنفي صاحب التصانيف المفيدة والقواعد الغزيرة وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة.([4])

وقال ابن الأثير كان إمامًا فقيهًا من الحنفيين وكان ثقة ثبتًا.([5])

وقال الصلاح الصفدي في الوافي (كان ثقة نبيلًا ثبتًا فقيهًا عاقلًا لم يخلق بعده مثله.([6])

قال أبو اسحاق في طبقات الفقهاء : أبو جعفر انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر

قال الذهبي في السير : كان الطحاوي ثبتًا فقيهًا عاقلًا

---

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٢ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٤ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٦ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم وسعة علمه .

ذكره القضاعي في كتاب الخطط فقال : كان قد أدرك المزني وعامة طبقته وبرع في علم الشروط

ولقد كان الإمام أبو جعفر الطحاوي إمام عصره في الفقه والحديث بلا منازع

مؤلفاته :

صنف الإمام الطحاوي مؤلفات كثيرة نافعة غاية في التحقيق وحوت من الفوائد وحسن العرض والتصنيف ما جعلها أولى بالاهتمام وتنوعت حيث كان منها في الفقه والحديث والعقيدة وغيرها من العلوم ومن مؤلفاته :

معين الأمة على معرفة الوفاق والخلاف بين الأئمة حكم أراضي مكة المكرمة

عقود المرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان

كتاب الفرائض

قسمة الفيء والغنائم

كتاب التاريخ

كتاب التسوية بين حدثنا وأخبرنا

المحاضرات والسجلات

المختصر في الفروع

نقد المدلسين على الكرابيسي

اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين

شرح مشكل الآثار

شرح معاني الآثار

وبيان مشكل الآثار

وكتاب الشروط الكبير

والشرط الصغير والشروط الأوسط

وشرح الجامع الصغير والكبير للشيباني في الفروع

وله كتب مفقودة منها

أحكام القران (بكسر القاف)نقله الإمام النووي عن القاضي عياض

مناقب أبي حنيفة

كتاب الأشربة

التاريخ الكبير
حكم أرض مكة
كتاب الفرائض
النحل وأحكامها وصفاتها وأجناسها وما ورد فيها من خير
النوادر الفقهية
الوصايا

وعقيدة أهل السنة والجماعة وهو المتن الذي بين أيدينا شرحين له (شرح الإمام البابرتي – وشرح الإمام ابن أبي العز).

وفاته:

توفي الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ليلة الخميس مستهل ذي القعدة بمصر ودفن بالقرافة الصغرى وقبره مشهور بها.([1])٢

- ترجمة الإمام البابرتي

اسمه ونسبته:

محمد بن محمود بن أحمد الروي البابرتي أكمل الدين بن شمس الدين بن جمال الدين الحنفي وقيل اسمه محمد بن محمد بن محمود

نسبته:

ينسب الإمام البابرتي إلى بابرت وهي قرية من أعمال دجيل ببغداد العراق أو بابرت التابعة لمنطقة أرضروم في تركيا.([3])٤

ولادته ونشأته:

ولد الإمام البابرتي سنة بضع عشرة وسبعمائة الهجرة.

اشتغل بالعلم ورحل إلى حلب فأنزله القاضي ناصر الدين بن العديم بالمدرسة السادجية فأقام بها مدة وأخذ من علمائها

ثم جاء إلى القاهرة بعد سنة أربعين وسبعمائة من الهجرة فأخذ عن أبي حيان الأندلسي وشمس الدين الأصبهاني وسمع من ابن عبد الهادي والدالاصي وغيرهما

---

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٢ انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة (٣ ٢٧٢١) تذكرة الحفاظ (١٣ ٨٠٨) سير أعلام النبلاء (٢٧١١٥) شذرات الذهب (٢٨٨١٢) وفيات الأعيان (١١ ٧١) وغيرها

٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٤ الزركلي كتاب الأعلام ط ١٥ الناشر دار العلم ح٦ ص٤٢

وصحب شيخون واختص به وقرره شيخًا بالخانقاة التي أنشأها وفوض إليه أمورها فرعاها أحسن رعاية

عظم في عين شيخون ثم عند من بعده إلى أن زادت مكانته عند الظاهر برقوق بحيث كان يكلمه بشباك الشيخونية وهو راكب وينتظره حتي يخرج فيركب معه

صفته كان قوي النفس عظيم الهمة مهابًا عفيفًا فاضلًا صاحب فنون وافر العقل

كانت رسالته لا ترد مع حسن البشر والقيام مع من يقصده والإنصاف والتواضع والتلطف في المعاشرة متنزهًا عن المناصب الكبار عرض عليه القضاء مرارًا فامتنع.

كان أصحاب المناصب على بابه واقفين بأوامره مسرعين إلى قضاء حوائجه ومآربه.

شيوخه:

قوام الدين الكاكي

أبو حيان الأندلسي

شمس الدين الأصفهاني

ابن عبد الهادي

الدالاصي

تلاميذه:

أبو الحسن الجرجاوني

شمس الدين الفناوي

ابن قاضي سماونة

سراج الدين الكناني

علمه ومصنفاته

كان الإمام البابرتي عالمًا باللغة الفقه والتفسير والأصول وقد ألف مصنفات كثيرة فاستفاد منها القاصي والداني.

ولقد تنوعت مؤلفات البابرتي في علم الكلام والفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث والنحو فكان من تلك المؤلفات:

النقود والردود شرحًا لمختصر ابن الحاجب

شرح مشارق الأنوار

شرح أصول البزدوي المسمى ب (التقرير)

شرح الهداية المسمى ب (العناية)
الإرشاد في شرح الفقه الأكبر لأبي جنيفة
شرح المنار في أصول الفقه المسمى ب(الأنوار)
له تفسير جميل
النكت الظريفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة
شرح التصريف
الصدفة الملية بالدرة الألفية شرح ألفية ابن معطي في النحو
المقصد في الكلام
شرح عمدة العقائد
تحفة الأبرار في شرح مشارق الأنوار في الحديث
حاشية على الكشاف
شرح تلخيص الخلاطي للجامع الكبير
مقدمة في الفرائض
التقرير شرح أصول البزدوي
الكواشف البرهانية شرح المواقف للإيجي
شرح تجريد الكلام للنصير الطوسي
شرح العقيدة الطحاوية
شرح ألفية بن معطي
شرح التلخيص في المعاني والبيان

ومن أشهر مؤلفات الإمام البابرتي العناية شرح الهداية وشرح وصية الإمام أبي حنيفة

مكانته العلمية:

حاز البابرتي مكانة علمية عظيمة لسعة اطلاعه ورجاحة عقله وحسن فهمه فألف في صنوف العلم المختلفة في اللغة والحديث والفقه والعقيدة والأصول والتفسير ولقد نال منزلة علمية شهد له بها الثبوت مثل

قال الإمام السيوطي : (أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتي علامة المتأخرين وخاتمة المحققين، برع وساد، ودرس وافاد "١

١ السيوطي حس المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ج ١ ص٤٧١

وقال في موضع آخر " وكان علامة فاضلًا ذا فنون، وافر العقل، قوي النفس، عظيم الهيبة، مهابًا[1]

ابن العماد الحنبلي : كان حسن المعرفة بالفقه والعربية والأصول وكان أرباب المناصب على بابه قائمين بأوامره مسرعين إلى قضاء مأربه

عبد الحي اللكنوي لم تر عين الأعين في وقته مثله كان بارعًا في الحديث وعلومه ذا عناية باللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان

ابن إياس عظيم فقهاء الحنفية العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره وأعجوبة زمانه.

وفاته

توفي الإمام البابرتي في مصر عام (٧٨٦ هـ) الموافق ١٣٨٤م ليلة الجمعة تاسع عشر من رمضان وقد جاوز السبعين

وحضر السلطان جنازته وأراد حمل نعشه فمنعه الأمراء ومدحه شهاب الدين بن أبي حجلة بأبيات.[2]

شيخ إلى سبل الرشاد مسلك وسبيله في العلم ما لا يجهل
شيخ تبحر في العلوم فمن رأى بحرًا يسوغ لورديه المنهل
شيخ عليه من المهابة رونق كالبدر لكن وجهه متهلل
شيخ تقدم في العلوم كأنه إن غد أرباب الفضائل أول
شيخ بحسن بيانه وشروطه ما باب بالمفتاح باب مقفل
ما قيل هذا كامل في ذاته إلا وقلت الشيخ عندي كامل

ودفن بالخانقاة المذكورة سابقًا[3]

- **ترجمة الإمام ابن أبي العز**

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة صدر الإسلام أبو الحسن "علي بن علي بن محمد بن محمد ابن أبي العز.([4])"[5] "بن صالح ابن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جُبير بن جابر بن

---

١ السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ف ج ١ ص٢٣٩

٢ شرح وصية الإمام أبي حنيفة، البابرتي تقديم حمزة البكري ومحمد العايدي دار الفتح ط٢٠٠٩ ص١٣-١٤

٣ انظر ترجمته في شذرات الذهب (١٦ ٢٣٩) و الدرر الكامنة (١٤ ٢٥٠) وبغية الوعاة (٢٣٩\١) وأنباء الغمر بأنباء العمر (١١٢\١) وغيرها.

٤ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٥ ورد في عدد من مخطوطات كتب المؤلف (ابن العز) وكذلك في كشف الظنون (١١٤٣/٢)، وهدية العارفين (١/ ٧٢٦) وورد في بعض المواضع من إنباء الغ مر (٥٠/٣)، أن اسم المؤلف محمد، وتابع ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (٣٢٦/٦) هذا الموضع من إنباء الغمر، والصحيح (علي) كما في جميع المراجع الأخرى، وكما هو مدون على مخطوطات كتبه.

وهيب، الأذرعي – الأصل – الدمشقي"([1])٢، الصالحي الحنفي المعروف بابن أبي العز "يلقب بصدر الدين"([3])٤.

والإمام ابن أبي العز ينتمي إلى أسرة كان لها نباهة ذكر وعلو شأن في مجال العلم والسيادة، فهي منذ عرفت تتزعم المذهب الحنفي في دمشق ويشغل علماؤها مناصب التدريس والقضاء والإفتاء

فأبوه هو القاضي علاء الدين بن أبي العز الحنفي المتوفي سنة (٧٤٦) هـ قال الذهبي في (ذيل العبر): ــ ٢٥١ هـ وفي ثاني عشر من جمادى الآخرة (أي : من سنة (٧٤٦ هـ) مات القاضي الإمام علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي خطيب جامع الأفرم ونائب الحكم عن القاضي عماد الدين الطرسوسي

وجده هو قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي العز أحد مشايخ الحنفية وأئمتهم وفضلائهم في فنون من العلوم متعددة حكم نيابة نحو عشرين سنة وهو أول من خطب بجامع الأفرم ودرس بالمعظمية واليغمرية والقليجية والظاهرية وكان ناظر أوقافها وأذن للناس بالإفتاء

توفي بعد مرجعه من الحج بأيام قلائل سنة ٧٢٢ هـ وصلي عليه بجامع الأقرم ودفن عند المعظمية عند أقاربه وكانت جنازته حافلة وشهد له الناس بالخير

وأبو جده هو محمد بن أبي العز صالح بن أبي العز

أذرعي الأصل الصالحي وكان المدرس الرابع بالمرشدية ولد سنة (٦٤٥ هـ) بدمشق وسمع من ابن عبد الدائم وغيره وكان فيه صلاح وهو سبط القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحوراني مات بدمشق سنة (٧٢٣ هـ) وكان أولاد عمومته كذلك من كبار علماء الحنفية في أوقاتهم وتولوا مناصب الإفتاء والقضاء

---

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٢ هكذا ذكر نسب أبيه ابن قاضي شهبة في تاريخه (٢/ ٤٦٩) وأشار أيضًا إلى اسم المؤلف ولقبه بقوله: "ولده صدر الدين علي" (٢/ ٤٧٠) .

٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٤ انظر المرجع السابق (٢/ ٤٧٠)، والثغر البسام، ص (٢٠١)

ولادته:

تتفق كتب التراجم على أنه "ولد في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة"([1])٢، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة([2])٤، في الصالحية من مدينة دمشق([3])٦.

وذلك لأن أباه وجده وأبا جده كانوا قد استوطنوا دمشق لكن لم نجد من يصرح بذلك ممن ترجم له.

نشأته

نشأ ابن أبي العز في ظل أُسرة علمية، ولها مكانة في المجتمع، فأبوه كان قاضيًا، وكذلك جده([4])٨. وأبو جده (محمد) كان أحد أساتذة المدرسة المرشدية([5])١٠، وأولاد عمومته منهم القاضي([6])١٢، ومنهم المفتي، ومنهم المدرس.

في هذه الأسرة العلمية نشأ ابن أبي العز يتقلب في أعطاف العلم تعلمًا ومدارسة فكان لذلك مع ما منحه الله من استعداد فطري وتعطش شديد للمعرفة وذهن وقّاد أثر كبير في بلوغه منزلة عظيمة في العلم والمعرفة أتاحت له التدريس والخطابة والتأليف وتولى المناصب العلمية التي لا ينالها إلا من كملت معرفته وعظمت منزلته وارتاض بالمعرفة عقله

المناصب العلمية التي وليها:

ذكرت كتب التاريخ أنه تولى التدريس والخطابة والقضاء.

١- التدريس: درّس في عدد من المدارس الحنَفية، منها: المدرسة (القيمازية) في سنة ٧٤٨هـ. ([7])١٤

والمدرسة الركنية سنة ٧٧٧هـ. ([8])١٦

---

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٢ انظر الدليل الشافي (٤٦٥/١)

٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٤ انظر الدرر الكامنة (٣/ ١٥٩)، والدليل الشافي (١/ ٤٦٥) .

٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٦ انظر الدليل الشافي (٤٦٥/١).

٧ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٨ انظر تاريخ ابن قاضي شهبة (٤١٥/٢) فقد أشار إلى أن أباه وجده من القضاة.

٩ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

١٠ انظر مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ص (٦٧، ٦٨)

١١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

١٢ انظر تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٨١/٣، ٣٦٠) .

١٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

١٤ انظر تاريخ ابن قاضي شهبة (٥٠٣/٢) .

١٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

١٦ انظر مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٨) .

والمدرسة العزية البرانية في ربيع الآخر سنة ٧٨٤هـ كما درس بالمدرسة الجوهرية. (١)٢.

٢- الخطابة: تولى الخطابة في جامع الأفرم بدمشق(٣)٤، وتولى الخطابة أيضًا بحسبان(٥)٦، وهي بلدة تقع جنوب عمّان(٧)٨.

٣- القضاء: ولي قضاء الحنفية بدمشق في آخر سنة ٧٧٧هـ، نيابة عن ابن عمه نجم الدين، الذي نقل إلى قضاء مصر سنة ٧٧٧هـ(٩)١٠، ثم استعفى نجم الدين من القضاء فأعفي، وولي مكانه ابن أبي العز، فباشر القضاء شهرين وأيامًا، ثم استعفى فأُعفي(١١)١٢، وعاد إلى دمشق، يدرس ويخطب(١٣)١٤.

شيوخه

تمتع ابن أبي العز بنشأته في بيئة علمية بدأت من الأسرة ثم المدارس العلمية التي انتشرت من حوله والتي أنشأ بعضها أفراد من أسرته

ويمكن أن نأمن إذا قلنا أنه تلقى العلم عن والده ثم مشايخ تلك المدارس العلمية بعدما التحق بها والتي تهتم بدراسة المذهب الحنفي ومختلف العلوم الإسلامية.

لا تجود علينا كتب التراجم، ولو بيسير في هذا الجانب، والذي أستطيع أن أقول في هذه الناحية وأنا مسبوق إليه(١٥)١٦: إن الإمام صدر الدين ابن أبي العز قد أثرت فيه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم تأثيرًا كبيرًا، فهما الشيخان الموجهان لحياة هذا الإمام

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
٢ ذكر ابن حجر ما يفيد أنه درس في المدرستين ولم يذكر التاريخ انظر إنباء الغمر (٩٨/٢) وانظر مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٨) .
٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
٤ انظر تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٦٩/٢، ٤٧٠) ففيه ما يشير إلى ذلك.
٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
٦ انظر الثغر البسام، ص (٢٠١)، وإنباء الغمر (٣/ ٥٠) .
٧ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
٨ انظر مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ص (٨١) .
٩ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
١٠ انظر تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/ ٤٧٨)
١١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
١٢ انظر المرجع السابق (٣/ ٤٧٨، ٤٨٣) .
١٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
١٤ يُؤخذ ذلك من كلام ابن حجر في إنباء الغمر (٣/ ٥٠) .
١٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
١٦ انظر مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧، ٧٣) للأستاذين التركي والأرنؤوط

وقد صرح باسم الإمام ابن كثير في أكثر من موضع في شرح العقيدة الطحاوية، ووصفه بأنه شيخه([1])٢،

ويترجح عند بعض الباحثين بأنه كان يتصل بالإمام ابن القيم ويستفيد منه مشافهة([3])٤

فأمّا نقله من كتبه فكثير جدًا، خصوصًا في شرح العقيدة الطحاوية([5])٦.

وهناك شيخ آخر لابن أبي العز ذكره في كتابه التنبيه على مشكلات الهداية([7])٨، هو: إبراهيم بن علي بن أحمد الطرسوسي، أحد العلماء على مذهب الإمام أبي حنيفة، وتوفي بدمشق سنة ٧٥٨ هـ([9])١٠.

تلاميذه

لا نشك في أن لهذا الإمام تلاميذًا، ولكن لم تتفضل علينا كتب التراجم بشيء في ذلك؛ إلاّ "ما ذكره الإمام السخاوي في بعض كتبه"([11])١٢ بأن ابن الديري واسمه سعد بن محمد بن عبد الله أحد قضاة الحنفية ت: ٨٦٧ هـ قد أجاز له ابن أبي العز.

مذهبه في العقيدة والفقه

أ- في العقيدة:

انتهج الإمام ابن أبي العز منهج السلف واتبع مذهب السلف في جميع المباحث العقدية، وحسبك في إثبات هذه الحقيقة – التي هي أوضح من الشمس في رابعة النهار – أمران:

الأول: ما سطره في شرحه للعقيدة الطحاوية، فقد تناول في هذا الكتاب جل المباحث العقدية بمنهج سلفي رصين، حتى غدا هذا الكتاب أحد الدعائم التي تعتمد عليها الجامعات الإسلامية في تدريس مادة التوحيد.

---

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٢ انظر المرجع السابق، ص (٧٣) وانظر من هذا البحث آخر سورة التوبة، الآية (١٢٤)

٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٤ انظر مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٣) .

٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٦ انظر من هذا البحث الحواشي، عند الآية (١٨) من سورة آل عمران، والآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

٧ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٨ انظر منه، ص (٣٥٥) تحقيق أنور.

٩ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

١٠ انظر تاج التراجم، ص (٨٩)، والفوائد البهية، ص (١٠)، والطبقات السنية (٢١٣/١) .

١١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

١٢ انظر الضوء اللامع (٣/ ٢٤٩ – ٢٥٣)، ووجيز الكلام (١/ ٢٩٦) .

الثاني: اعتراضه على بعض شعراء أهل زمانه([1])٢، عندما مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة، وقع فيها بعض الأخطاء العقدية فبيّن الإمام ابن أبي العز تلك الأخطاء، ونبّه عليها، فلم يعجب ذلك بعض أهل زمانه ممن ينتحل العلم، وشغّبوا عليه بهذه المسألة فامتحن بسببها وأُدخل السجن، وأوذي([3])٤.

ب- مذهبه في الفقه: فهو حنفي([5])٦، يزن أقوال الأئمة بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

ولقد وضع لنفسه منهجًا قويمًا قاده إلى باب الإمامة، وجعل أبحاثه في غاية الدقة والمتانة، بعد توفيق من الله تعالى ورعايته

نص عليه في كتابه الإتباع فقال: "فالواجب على من طلب العلم النافع أن يحفظ كتاب الله ويتدبره، وكذلك من السنة ما تيسر له، ويتضلع منها ويتروّى، ويأخذ معه من اللغة والنحو ما يصلح به كلامه، ويستعين به على فهم الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح – في معانيها – ثم ينظر في كلام عامة العلماء: الصحابة، ثم مَنْ بعدهم، ما يتيسر له من ذلك من غير تخصيص، فما اجتمعوا عليه لا يتعداه، وما اختلفوا فيه نظر في أدلتهم من غير هوى ولا عصبية، ثم بعد ذلك ((من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا"))الكهف١٧.

مؤلفاته:

له عدة مؤلفات، وكلها قوية في موضوعها ومضمونها وهي:.

– كتاب الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية هي منظومة مختصرة في سيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في مئة بيت تستوعب معظم موضوعات سيرته عليه الصلاة والسلام. ([7]) (٨)

-كتاب التنبيه على مشكلات الهداية فقه

-كتاب النور اللامع فيما يعمل به في الجامع أي جامع بني أمية

---

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٢ واسمه: علي بن أبيك بن عبد الله. قال ابن حجر: اشتهر بالنظم قديما ... وله مدائح نبوية (ت: ٨٠١ ؟) انظر إنباء الغمر (٦٧/٤)، والدليل الشافي (١/ ٤٥٢) .

٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٤ تفاصيل الحادثة وامتحانه في إنباء الغمر بأبناء العمر (٩٥/٢-٩٨) الطبعة العثمانية في حوادث ٧٨٤ ؟. وقد أحسن الشيخان التركي والأرنؤوط بشرح ملابسات تلك الحادثة، وبيان وجه الحق فيها. انظر: مقدمتهما لشرح العقيدة الطحاوية، ص (٨٧-١٠٢).

٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٦ ذكره في قضاة الحنفية في مصر السيوطي في حسن المحاضرة (٢/ ١٨٤، ١٨٥) ووصفه جماعة من المترجمين له بالحنفي منهم ابن حجر في الدرر الكامنة (١٥٩/٣)، وابن تغري بردي في الدليل الشافي (٤٦٥/١)، والسخاوي في وجيز الكلام (١/ ٢٩٦)

٧ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٨ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٠١١)، شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية (الطبعة ١)، الرياض :مكتبة الملك فهد الوطنية، جزء ١.، صفحة ٦، بتصرّف.

– كتاب تفسير ابن أبي العز
– كتاب الاتباع لابن أبي العز
– كتاب شرح الطحاوية ت الأرناؤوط
– كتاب شرح الطحاوية – ط دار السلام
– كتاب شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية
– كتاب التنبيه على مشكلات الهداية
– كتاب رسالة تتضمن الإجابة على مسائل فقهية منها: صحة الاقتداء بالمخالف، وحكم الأربع بعد أداء الجمعة.

وإليك الحديث عنها بإيجاز:

شرح العقيدة الطحاوية([1])[2]:

وهو شرح نفيس تضمن أبحاثًا دقيقة عميقة، وتحقيقات بديعة متقنة في العقيدة الإسلامية، على منهج السلف([3])[4] بل إنه لم يترك مبحثًا مهمًا من مباحث العقيدة، إلا وطرقه بإطناب، وقد حُقّق الكتاب عدة تحقيقات، وطُبع عدة طبعات كان أول هذه التحقيقات والطبعات قبل سبعين سنة، وقد استوفى الكلام على هذه الطبعات التركي والأرنؤوط، في تحقيقهما لهذا الشرح([5])[6]، الذي هو أفضل التحقيقات والطبعات.

ورغم سعة صيت انتساب شرح الطحاوية لابن أبي العز إلا أننا نجد من ينكر نسبت هذا الشرح إليه فالإمام

الكوثري وأتباعه يصرون على إنكار نسبة شرح الطحاوية إلى مؤلف حنفي، وهذا نوع من المكابرة بالمحسوس الملموس.

ويمكن أن نرد على ذلك بأمرين الأول: وجود كثير من الشروح لعلماء المذهب الحنفي وقرظها العشرات من الأحناف، وكيف لا يشرحها حنفي وهي عقيدة الإمام أبي حنيفة وأصحابه –رحمهم الله– وهل المذهب الحنفي غير ما كان عليه أبو حنيفة وأصحابه!!

---

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
٢ انظر مقدمتهما، ص (١٠٦، ١٠٩) إحياء علوم الدين (١٤٦/٢)،
٣ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
٤ انظر مقدمة التركي والأرنؤوط لشرح العقيدة الطحاوية، ص (٨١) .
٥ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.
الاتباع، ص (٨٨) والمؤلف في جميع كتبه (التنبيه على مشكلات الهداية، وشرح العقيدة الطحاوية٦

الثاني: ما تقدم من نقول وصورة المخطوط لم يعد هناك من مجال للشك بأن الشرح هو لابن أبي العز، جزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير.

كتاب الإتباع: يقع هذا الكتاب في (١١٠) صفحات من الحجم المتوسط، له أكثر من طبعة، منها الطبعة الثانية في عمان، سنة ١٤٠٥هـ بتحقيق محمد عطا الله، وعاصم بن عبد الله،

والكتاب رد على رسالة ألفها معاصره محمد بن محمود بن أحمد الحنفي المعروف بالبابرتي (ت: ٧٨٦هـ) يرجح فيها تقليد مذهب أبي حنيفة على غيره من المذاهب، فكان لابن أبي العز معه وقفات موفقة أعاد فيها الحق إلى موضعه، فيما زل فيه البابرتي، والعصمة لله وحده، ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم.

كما نص ابن أبي العز في ذكر سبب تأليف الكتاب في مقدمته بقوله: "أما بعد فَإِنِّي وقفت على رِسَالَة لبَعض الْحَنَفِيَّة رجح فِيهَا تَقْلِيد مَذْهَب أبي حنيفَة رَحمَه الله وحض على ذَلِك وَوجدت فِيهَا مَوَاضِع مشكلة فَأَحْبَبْت أَن أنبه عَلَيْهَا خوفًا من التّفَرُّق الْمنْهِي عَنهُ وَاتِّبَاع الْهوى المردي([1]) امتثالا لقَوْله تَعَالَى {واعتصموا بِحَبل الله جَمِيعًا وَلَا تفرقُوا} آل عمرَان ١٠٣ وَقَوله تَعَالَى {إِن الَّذين فرقوا دينهم وَكَانُوا شيعًا لست مِنْهُم فِي شَيْء} الْأَنْعَام ١٥٩ وَقَوله تَعَالَى {شرع لكم من الدّين مَا وصّى بِهِ نوحًا وَالَّذِي أَوْحَينَا إِلَيْك وَمَا وصينا بِهِ إِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدّين وَلَا تتفرقوا فِيهِ} الشورى ١٣.

والاتباع: رسالة في صحة الاقتداء بالمخالف يحارب المتعصبين للأئمة، الذين يسوقون الأمة إلى الاختلاف والتنازع، ولكنه لا يمنع من تقليد الأئمة دون تعصب؛ فإنه القائل: "ومن ظن أنه يعرف الأحكام من الكتاب والسنة بدون معرفة ما قاله هؤلاء الأئمة وأمثالهم، فهو غالط مخطئ. ولكن ليس الحق وقفًا على واحد منهم، والخطأ وقفًا بين الباقين حتى يتعين اتباعه دون غيره".([2])

٣-رسالة في الفقه: مضمونها جواب عن ثلاثة أسئلة وجهت إلى المؤلف. الأول: أن جماعة من الحنفية يتحرجون من الصلاة خلف من يرفع يديه في أثناء الصلاة. والثاني: أنهم إذا صلوا الجمعة خلف إمام الحي ينهضون عند سلامه ويقيمون الصلاة، ويصلون الظهر؛ لأن هذه الصلاة لا تصح عندهم إلا في مصر جامع، والثالث: أن

١ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

٢ يُنظر: الجويني نهاية المطلب في دراية المذهب ج المقدمة ص١١٩.

بعضهم يتحرز من ماء الوضوء الذي يسقط من أعضاء الوضوء، لظنهم أنه نجس. وقد أجاب المؤلف عن هذه الأسئلة بما استغرق خمس لوحات،

منها قولهما: إنهما خرجا الآثار، وهما لم يخرجا إلا عددًا لا يكاد يُذكر. ومنها إطلاقهما القول بما يفيد أنهما أشارا إلى جميع مواضع النقول من المؤلفات التي نقل منها الشارح. ومنها تساهلهما في إطلاق كلمة (لم نقف عليه) أثناء حديثهما على مؤلفات الشارح التي لم تطبع وفي تعارف الباحثين أن هذه الكلمة لا تُقال إلا بعد البحث الجيد. والمسلمون بحاجة إلى ما فيها من علم، خصوصًا في زماننا هذا الذي جعل فيه العوامُ – وأشباههم ممن ينتحل العلم – هذه الخلافات الفرعية سبيلًا إلى تفريق هذه الأمة، وزيادتها وهنًا على وهن.

٤–كتاب التنبيه على مشكلات الهداية: نسبه إليه الإمام السخاوي([1])وغيره([2])، والمؤلف يعني بالهداية: كتاب الهداية لمؤلفه على بن أبي بكر المرغيناني (ت: ٥٩٣ هـ).

وكتاب التنبيه يحتوي على علم غزير يشهد لمؤلفه بالإمامة والرسوخ في علم الفقه المقارن، وكذلك في علمي الأصول والحديث، إلا أنه تحامل على صاحب الهداية، فلم ينصفه في بعض المواطن.

والكتاب حُقق في رسالتي ماجستير، وذلك بقسم الفقه في كلية الشريعة، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٥– النور اللامع فيما يعمل به في الجامع: نسبه إليه إسماعيل باشا، والزركلي، وكحالة([3])، ويعني بالجامع، جامع بني أمية بدمشق([4])، ولم أقف على ذات الكتاب محنته

ذكر ابن العماد خبر اعتقاله لبيانه ما في قصيدة ابن أيبك من الشرك، وأنه أقام مقتّرًا عليه، إلى أن جاء الناصري، فرفع إليه أمره، فأمر برد وظائفه، ولم تطل مدته فقد توفاه الله بعد ذلك وكانت وفاته بدمشق.

١ يُنظر: نسبه إلى المؤلف الإمامُ السخاوي في وجيز الكلام (٢٩٦/١)، والزبيدي في شرح إحياء علوم الدين (١٤٦/٢)، وانظر مقدمة التركي والأرنؤوط للكتاب المذكور، ص (١١٧).
٢ يُنظر: هدية العارفين (٧٢٦/١)، والأعلام (٣١٣/٤)، ومعجم المؤلفين (١٥٦/٧).
٣ يُنظر: انظر هدية العارفين (٧٢٦/١)، والأعلام (٣١٣/٤)، ومعجم المؤلفين (١٥٦/٧).
٤ يُنظر: هدية العارفين (١/ ٧٢٦) وعنوان الكتاب يوحي بأنه ليس كبيرًا، والله أعلم..

وكانت محنته كما ذكر الزركلي: "على قصيدة لابن أيبك الدمشقيّ. له كتب، منها " التنبيه على مشكلات الهداية – خ " فقه، و " النور اللامع فيما يعمل به في الجامع " أي جامع بني أمية.([1])

وهذه المحنة التي تعرض لها تشبه المحنة التي تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما ممن كان على مذهب السلف الصالح ويدعو إليه.

وفاته

توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة، سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ودفن بسفح قاسيون في بلدة دمشق.([2])

١ يُنظر: الزركلي كتاب الأعلام الشعراني ص٢١٢.

٢ يُنظر: إنباء الغمر (٣/ ٥٠)، ووجيز الكلام (١/ ٢٩٥)، والثغر البسام، ص (٢٠١)، وأبعد عن الصواب حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١١٤٣) عندما أرخ وفاته بسنة (٧٤٢هـ).